بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التوكل

- يقول الإمام الغزالي: "وأما حد التوكل فقط قال بعض شيوخنا إنه اتكال القلب.....فهذا حده".
- التوكل مقام وهذا المقام له درجات، ولكلٍ له نظرته في التوكل.
- خلاصة معنى التوكل هو توطين القلب، أي سكونه ومعرفته وشهوده أن لا أحد يعطيه أو يسقيه أو يكسوه أو يشفيه إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يدفع عنه ضر لا بشر ولا سبب حتى الأسباب هي لا تدفع الضر بذاتها إنما بقدرة الله التي أودعها فيها.
- بمعنى أن الماء نشربه لماذا نشربه؟ لأننا نحس بالظمأ، لكن هل الماء هو يذهب الظمأ هو سبب، الذي يذهب الظمأ هو الله.
- فلذلك أكون موظفاً أو انتظر شخصاً يعينني، أعتقد أن الوظيفة من الله وأن الله هو فتح باب الرزق منها، الرزق منه وليس الوظيفة التي تعطيني أو العمل أو التجارة.
- ممكن إنسان يتاجر فيخسر، أو يكون موظفاً لا يبارَك برزقه، يأتي بأسباب الرزق لكن لا يأتيه الرزق، شخص يعمل ويتاجر لكن ما في رزق، عمل بالأسباب يدل أن الأسباب لا تأتي بالرزق وإنما هي مفاتيح.
- حكمة الله وسنته في الحياة ربط الأشياء بأسباب.. من كان ظمآنا فليشرب، ولكن لا يعتقد أن الماء الذي هو يرويه.
- إذا كان جائعاً فليأكل مما أعطاه الله ولكن ليس الطعام هو الذي يشبعه، الله الذي أطعمه وأشبعه وخلق الطعام وخلق الشبع في الطعام، فهذا هو التوكل، التوكل مكانه في القلب.
- يقول الإمام الغزالي: "وأما حسن التوكل الباعث عليه فهو ذكر ضمان الله تعالى وحصنه ذكر جلال الله.....".
- يقول الإمام الغزالي في هذا الأمر، إذا عرفنا أن التوكل مكانه القلب فكيف نحافظ على هذا المعنى في القلب؟

- قال حصنه أن تذكر نفسك رزقي قد ضمنه الله والمقصود الرزق المضمون، فإذا جاءك الشيطان يشكك، قل الله قد ضمن لي رزقي، وحصن الحصن كيف تحفظ على هذا الضمان في قلبك؟ بالتفكير أن الله بجلاله وكماله وقدرته لا يخلف وعده ولا يسهو ولا ينسى.
- مثلاً واحد يقول وعدتك وبعدين نسيت الله عز و جلّ بقدرته لا ينسى ولا يغفل ولا يخلف وعده جل جلاله، مع تكرار هذه المعاني والتوطين في القلب يستقر القلب.
- الشيطان يدخل على كثير من الناس في أمر الرزق فيشككهم في وعد الله وضمانه، يأخذون الأسباب ثم ينتكسون فهنا يفتنون يقولون نحن أخذنا بالأسباب والله لا يخلف وعده..
- قبل أن تأخذ بالأسباب، أخذتم بالأسباب توكلتم عليها وتشكون في ضمان الله؟ فلم تنفعكم حتى أسبابكم! تتهمون ربكم جل جلاله؟ المقصد من ذلك العبد أن يوطن هذا القلب على أن الرزق من الله وهو الذي ضمن ذلك، الله لا يخلف الميعاد.
- يقول الإمام الغزالي: "فإن قيل هل يلزم العبد طلب الرزق بالحال..... لازم للعبد".
- الخطاب من الإمام الغزالي يذكر يقول هل يجب على العبد أن يطلب الرزق؟ هنا قال أنه لا يلزمه لا يجب عليه، ولكن هذا ينطبق على الذي بلغ مرتبة العليا في معنى التوكل، شهود أن الله هو الذي يطعم والذي يتولاه جل جلاله.
- عند ذلك لا يلزمه، غلب عليه الشهود، بحيث لا يتأثر أتاه أو لم يأته أو تأخر عليه لا يقلق.
- الإشكال في من لم يبلغ هذه المرتبة فيُقال له اطلب الرزق من حيث أنك تطمئن نفسك ويستقر فؤادك، لا أن تظن أن هذا الأخذ بالأسباب هو الرازق.
- كثيرون يأخذون بالأسباب ولا يأتيهم رزق، يدرسون يتخرجون، توظفوا أولم يجدوا وظيفة، المسألة من عند الله، كل ذلك متوقف على القلب.
- قال النبي ﷺ: (لو أنكم تتوكلون حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) لكن إن لم نتوكل على الله حق توكله يحصل لنا هذا الأمر.
- فالله عز و جلّ رزق الطير عندما تذهب تطير، ورزق صغارها من أمهم، هي التي تطير تبحث ثم تأتي لهم بالطعام، الطير يذهب إلى أين لا يدري لا يعرف لكنه متوكل على الله.
- كذلك الإنسان، شخص لم يجد وظيفة يبدأ عنده قلق من أين أصرف؟ من أين سأدفع الإيجار؟ يتخبط هذا مسكين! يظل في هذا الخبط حتى يوطن القلب مع الله جل جلاله.

- جعل الله للرزق مفاتيح من وظيفة أو حرفة أو عمل، هذه الأسباب عبارة مجرد العبودية لله عز و جلّ، أنا كربّ أسرة صحيح أن الله ضمن رزقي ولأولادي ولكن كلفني أن أنفق عليهم، عندما أذهب إلى العمل أذهب من أجل أن أمتثل أمر الله في الإنفاق على أولادي، عندما أذهب لا أشك في الرزق أو لا أطلب الرزق، ذهابي إنما هو من أجل أن أنفق على أولادي وعلى أهلي ومنهم من يقول اطلبوا الرزاق في رزقه، أنت تبحث عن الرزاق لا رزقك جل جلاله وهذه معان تحتاج إلى توضيح أكثر وتفصيل أكثر.
- أعطيكم ملاحظة أخرى في بعض الشباب أو الناس يقول سأدرس التخصص الفلاني لكي أنال الشهادة الفلانية لكي أحصل على وظيفة أنفق بها على نفسي، هذا لا يبارك في رزقه أو ربما لا يجد الوظيفة لأن نيته غير صحيحة.
- النية إذا أراد أن يدرس يجعل نيته لطلب العلم ولنفع الناس بعلمه، فإن فعل ذلك سواء من تخصصات دينية أو دنيوية هندسة أو طب أو شريعة ينفع الناس يقول أريد أدخل هذا التخصص ليس من أجل أن أجد الوظيفة وأنفق على نفسي وأولادي النية خطأ، بل من أجل أنفع نفسي وأنفع المسلمين وأنفع الناس كلهم، الله سبحانه وتعالى قال: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ).
- إذا أنا ما نفعتهم في دينهم أنفعهم في دنياهم، أنفع الكافر وأجعل التعامل معه دعوة إلى الله بالأفعال وليس بالأقوال.
- الطريقة الصحيحة، ادخل التخصص الفلاني، الجامعة، الدراسة، أطلب العلم أستفيد أفيد غيري الله سيسهل لهذا المتخرج شغل راتب تفتح له الأبواب إذا نوى نية صالحة.
- بعض الآباء والأمهات يقولون لأبنائهم إذا ما درست لن تجد شهادة وستتبهدل يظنون أنهم يشجعونه لكنهم يعلمونه الشك في الله وفي رزقه، درس وتخرج الوظيفة في وادي والشهادة في واد آخر.
- يقول الإمام الغزالي: "فإن قلت هل يزيد الرزق بالطلب وهل ينقص بترك الطلب الموت".
- الكلام هنا دقيق عندما يقال الرزق يزيد بالطلب أو النقصان أو ينقص بترك الطلب، الإمام الغزالي يقول لا.

- لأن الرزق من يوم ما خلق الإنسان مقسوم له رزقه بدليل الكثير مثلا يطلب الرزق يدخل في التجارة يخسر كان عنده مئة ألف، دخل في التجارة فتح محل فإذا به يخسر، الآن لم يزدد رزقه بالطلب.
- وآخر سبحان الله يأتيه رزقه فالزيادة والنقصان ليست مرتبطة بالطلب إنما هي حسب ما كتب في اللوح المحفوظ.
- ولكن ليس معناه أن يجلس في البيت، نخرج عبودية لله.. نخرج امتثالاً لأمر الله تعالى.
- الشيء الآخر الرزق لا يزيد ولا ينقص بالطلب، ممكن يزيد ببعض أعمال العباد مثل بر الوالدين وصلة الأرحام، أو إذا كان ينفق في سبيل الله والنبي ﷺ يقول: (ما نقص مال من صدقة بل يزداد بل يزداد بل يزداد)، الرزق لا يزيد ولا ينقص بالطلب وإنما يزيد وينقص ببعض العبادات، إذا عملها الإنسان بارك الله له في رزقه أو زاده فعلا مثل بر الوالدين، صلة الرحم، الصدقة، النفقة في سبيل الله ويدخل في ذلك إكرام الضيوف والهدايا.
- لأن ما من صباح يصبح على الإنسان إلا ويقول ملكان: (اللهم أعط منفقاً سلفاً وأعط ممسكاً تلفاً)، الذي ينفق أعطيه غيرها سلف، أو كأنها تلك سلف وأعطي ممسكاً عن النفقة يتلف ماله والعياذ بالله عز و جلّ.
- لكن تأكيداً وليس معناه أن لا يطلب الرزق، هو يخرج عبادة لله لأن الله أمره أن ينفق على أهله وعلى أولاده.
- يقول الإمام الغزالي: "فإن قيل فالثواب والعقاب أيضاً مكتوب في اللوح المحفوظ....."
- كذلك الإمام الغزالي يعطي افتراضات، قد يسأل الشخص ثم يجيب عليه، ما بال الثواب والعقاب يزيد وينقص؟ لأن الله عز و جلّ أمر العبد بأن يعمل حسنات ليعطيه ثواباً زائداً ونهاه عن السيئات حتى لا يعاقب.
- مَن أكثر من الحسنات زاد ثوابه ونعيمه ومن أكثر من المعاصي زاد عقابه وجحيمه لأن الله أمر بذلك.
- ثم يقول الإمام الغزالي هناك بعض ما قسم للعبد قسمان:

1. قسم كتبه الله سأعطيك رزقاً بدون شرط، لم يقل سأرزقك ما دمت مطيعاً، لا، بل قال: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) الكافر يأكل ويشرب، من الذي رزقه؟ الله سبحانه وتعالى،

هو كافر، ولكن الله وعد الإنسان مسلماً أو كافراً أو أي شيء يمشي على الأرض المسألة، ليست مشروطة.

2. لكن هناك قسم مشروط وهو الثواب والعقاب (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) فلا يدخل هذا في ذاك.

- الرزق والموت لا يزيد بفعل العبد، العبد لا يستطيع أن يزيد رزقه بفعله، وكذلك لا يستطيع أن يقدم أجله أو يؤخره بفعله.
- مثلاً انتحر هو ما قدم أجله، مكتوب أنه سيموت في هذا الوقت، كيف يموت هذا شيء آخر يموت منتحر يتناول سم، هذه أسباب ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد، بالنسبة للرزق هي مكتوبة محددة، تزيد وتنقص ببعض الأعمال الصالحة لأن النبي ﷺ أخبر بذلك.
- يقول الإمام الغزالي: "فإن قيل فنحن نجد الطالبين يجدون الأرزاق والأموال ".
- الإمام الغزالي يقول يرد لماذا أنتم تقولون الطلب لا يزيد في الرزق، الطالبين للرزق تزداد أموالهم والتاركين تقل أموالهم؟
- رد عليهم الإمام الغزالي، كأنه لا يوجد من هؤلاء يطلبون الرزق فقراء، يدخل في التجارة بدل ما يزيد رزقه ينقص يخسر، كثير، ما أكثرهم.
- كان قبل أن يدخل التجارة كان عنده راتب، نجرب البضاعة الفلانية خسر عشر عشرين ألف صار فقيراً مديوناً، رجل آخر متفرغ يأتيه رزقه سبحان الله، الله وضع محبته في قلب الناس أحد يهدي إليه وهكذا.
- علامة الله إذا أحب عبداً أرسل إليه من يحبه، قيل إذا وجدت أموالك تعطى للمحبوبين عند الله ليس معناه أنه يحبك فقط، بل معناه أن مالك حلال لأن الله لا يرزق أحبابه بالحرام، الله يحبهم.
- فإذا ما وجدت تهدي لأحبابه وتطعمهم دلالة أن الله يحبك، أرسلك إلى من يحبهم، أن مالك حلال اختارك أنت من جملة عشرات التجار، اختارك أنت ربما هناك من أكثر منك مالاً، اختارك أنت وقذف في قلبك أن تعطي هذا كذا، اختارك أنت لأنه أحبك وأرسلك لمن يحبه ورأى مالك طيب ولا تتأسف عليه.

● هناك شخص عامي أمي لا يقرأ لا يكتب عنده بنايات يملكها، ما يعرف حتى يوقع فقط يبصم لا يعرف يكتب اسمه، عنده بنايات يملكها تدر عليه بالملايين وناس عندهم شهادات، أرزاق من الله، سر خفي ما هو السر؟

● هناك من العباد لو فتح الله عليهم الدنيا لنسوا الآخرة، لضلوا، لتركوا الصلاة، فالله بعلمه من رحمته بالعبد قد يقدر له رزق قليل حتى لا ينفلت ولكن المشكلة العبد يسيء الظن بالله يقول الله لا يحبني لما كنت قليل المعرفة بالله (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) أحياناً الله يعطي إنساناً أموالاً كثيرة لعلمه أن هذا العبد كريم لن يبخل على الناس ولا على البسطاء والمساكين، سيعطيهم، وشخص آخر قد يعطيه من الدنيا وربما لا يصلي فيقول كيف هو مسلم لكنه لا يصلي أين هذا السر؟ بينما آخر فقير ويصلي ويصوم، ربما الله يعطي عبداً مسلماً مالاً كثيراً لا يصلي لو أنقص عليه المال لكفر، فهو ما بين كفر ومعصية أيهما أهون؟ عاصياً أما كافراً، الله أعطاه هذا الشيء، هذه أسرار لكن المؤمن لا يسأل ليش ولماذا أعلم الله حكيم مدبر، آمنا وصدقنا.

اجعلوها في قلوبكم وفي بالكم، اعلم أنما فيك وفي فلان مما أنت عليه من الرزق كثير أو قليل هو خير لك، لو علم في زيادة مالك خيراً لما بخل عليك (بِيَدِكَ الْخَيْرُ) بيده الخير وليس الشر، ولو علم الله أن هذه الدنيا الرزق الكثير سيجعلك في لن يبطئ عليك، سيعطيك.

● ما دمت في رزقي.. هذا بيتي البسيط، سيارتي البسيطة، لا أعترض على الله، ليس معناه أن لا يكون عندي طموح ، أهم شيء عندما أريد أوسع تجاراتي معاملاتي لنفع الناس لا لزيادة ثرواتي.

● ليس معناه أن أشك في الله، سأوسع تجاراتي ليزيد رزقي من أجل أن أنفع الناس وأوظف الموظفين.. افتتحت شركة وظفت فيها ألف شاب توظفوا واشتغلوا سيتزوجون، صاحب هذه الشركة سبب في ستر الناس وإطعامهم وتزويجهم، يأخذ ثواب العمل وإطعامهم وزواجهم إن نوى هذه النية لكن إن ما نوى ذهبت الفرصة.

والحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وجزى الله عنا سيدنا الامام الغزالي وسيدي الحبيب حسين خير الجزاء ونفعنا بعلومهما في الدارين